المبحث الثالث : أهم خصائص شعر السياسة والغزل عند صلاح أحمد إبراهيم

الشاعر صلاح أحمد إبراهيم من الشعراء الذين يهتمون بالناحية الفنية وجودتها، حتى يخرج للمتلقي بصورة جميلة، وتميز شعره بعدة خصائص:

أولاً : أهم خصائص شعر السياسة

1. سهولة اللغة وسلامتها:

تتبدى سهولة اللغة عند صلاح في استخدامه التراكيب ذات الدلالات السهلة التي تكون في متناول المتلقي، فيستقي معانيها في سهولة ويسر، و اللغة السهلة تكسب الشعر ألقاً وحيوية، و" السهولة بأن يخلص الكلام من التعسف في السبك"[1] والغموض في ألفاظ الشعر يمنعه السيرورة ويحصره بين ذوي الباع في اللغة، وسهولة شعر صلاح تكمن بصفة عامة في بساطة التعبير، و جودة الشعر تكمن في سهولة لغته وقرب معانيه، مما يجعل منه مادة سهلة التناول، ولايعني هذا استخدام غث الكلام ومبتذله، وإنما اختيار العبارات البعيدة عن الركاكة والغموض، وتظهر سهولة الشعر في تمكن الشاعر من اللغة، وصلاح أحمد إبراهيم بناء على ثقافته ودراسته كان متمكناً من اللغة، قادراً على استخدام أساليبها الملائمة لما يعتمل في نفسه من أحاسيس وما يحيط به من أحداث.

وتكمن سلامة اللغة الشعرية في مدى تمكن الشاعر من استخدام جيد الكلام وأفيده للمتلقي، وهو"أن يكون سمحها سهل مخارج الحروف من مواضعها عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة"[2]،و شعر صلاح كان بعيداً عن ركاكة اللغة وعن الأساليب المنفرة والألفاظ الغريبة، حتى عندما يستخدم العامية فهو يستعملها لمناسبتها للموضع الذي أوردها فيه، كما أن العامية التي في شعره عربية تبدو فصحى، ذلك أن العامية السودانية هي في أغلبها ذات أصل

---

[1] الهاشمي- السيد أحمد-جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب-مؤسسة المعارف للطباعة والنشر-ط،2009م -ج1-ص21

[2] جعفر - أبي الفرج قدامة- كتاب نقد الشعر - نظارة المعارف- قسطنطينية- ط1 – 1302هـ-ص8

فصيح وإن أصابها شيئ من التغيير الظاهري، فكان استخدامه لها بهدف زيادة وضوح التصوير والتجسيد، والعامية لا تعد في كل الأحوال من عوامل كساد الشعر وفساد طبعه وعدم سلامته، فالاختيارالأمثل لألفاظها وملاءمتها للمواضع التي توضع فيها يجو ّد من عمل الشاعر ويزيده الشعر ألقاً وبهاءاً .

و جودة الشعر ليس في اختيار الألفاظ ذات المراتب العليا فصاحة، إنما الإجادة في صياغة الشعر بما يناسبه دون الوقوع في الركاكة، وقد اختار صلاح من العامي ما يمكنه من إيصال فكرته مع المحافظة على سلامة لغة شعره.

2. عمق الفكرة:

"وليس من شك في أن صلاح أحمد إبراهيم من شعراء الفكرة، الذين يهتمون بعمقها وأبعادها وأرتباطها بالقيم الإنسانية"[1] وعمق الفكرة عنده نابع من تبنيه لقضايا إنسانية ذات أهمية قصوى بالنسبة للمجتمع، فهو يستطيع إيصال فكرته، من خلال ما يحرك من مشاعر حساسة في القضية التي يتناولها، فيحشد لها كل ما أوتي من أسباب التأثير، حتى تكون واضحة المعالم ذات مغزى ودلالة ورسالة مستفاد منها، فانت ما أن تطلع إلى قضية قد تناولها من خلال شعره إلا وتجد في طياتها مضامين جميلة.

3. بروز النزعة الإنسانية:

وهي من خصائص الشعر الاجتماعي بعامة، التي يتناول فيها الشعر القضايا الإنسانية التي تمس المجتمع وتعالج قضاياه، من خلال ما يثيره الشاعر من مشاعر كامنة للمشكلات التي تشغل حياة الإنسان، وقد تناول صلاح أحمد إبراهيم العديد من القضايا الإنسانية ذات الصلة بالمواطن السوداني، فمنحها بعدا إنسانياً من خلال تناوله لها، مما جعل الكثيرين يؤمنون

---

[1] هدارة- إتجاهات الشعر العربي المعاصر في السودان– ص 428

بها، ومن تلك القضايا سيادة العدل والمساواة بين كافة أفراد الشعب، وفي هذه نظرة إنسانية عميقة تتمثل في المساواة، أما العدل فنجده عند إشاراته العديدة لمظاهر الظلم والاستبداد وضياع الحقوق التي مـ ُ ني بها المواطن قبل وبعد الاستقلال، " والشاعر لايكتب لمجرد المتعة وتحريك أصابعه، ولكنه يكتب ليتصل بالآخرين"[1].

4. الطابع الحماسي:

المتمثل في الإشادة بالأبطال والشهداء والتنديد بجرائم الاستعمار، فقد حفلت كثير من قصائد صلاح السياسية بالطابع الحماسي، فهو يحاول من خلاله بث روح الثورة والنضال ضد الظلم الذي كان سائداً، وهي خاصية لاتتأتى للشاعر إلا من خلال معايشته للأحداث، وتظهر أكثر في شعر صلاح في الفترات التي شاع فيها الظلم والطغيان من الحكومات التي سلبت حقوق الشعب، مما يكسب شعره جواً من الإثارة، ويبث الحماس في الشعب حتى لا تفتر عزيمته، في قصيدته (في أعقاب الفتنة) يلهب الحماس ويبث الأمل في الأرض والشعب، فهو هنا يلهب الحماس للأرض وشعبها، حتى لا تمل الثورة والنضال في لغة جميلة.

أما الإشادة بالأبطال وتمجيدهم تأتي من واقع تأثر الشاعر بمواقف هؤلاء الأبطال في النضال والشجاعة وحبهم لأوطانهم والذود عنها، وهو لايمدحهم من باب المزايدة السياسية واستعراض المقدرات الشعرية رغبة في التفنن و التغني بمآثرهم، ولكن لما يستشعره فيهم من صدق ووفاء لأوطانهم وقضاياهم التي ناضلوا من أجلها، وما بذلوه من غالٍ ونفيس في سبيل قضاياهم، وتمجيد الأبطال ظاهرة قديمة في الشعر السياسي منذ الجاهلية، حيث يمجدونهم من باب المفاخرة والاعتزاز بأبطال القبيلة " كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، ...لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم"[2]،

---

[1] ضيف_شوقي(دكتور)_ الفن ومذاهبه في الشعر العربي_دار المعارف_ القاهرة، مصر_ط10_د.ت_ص298

[2] الشايب_أحمد_تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني _دار القلم _بيروت، لبنان_ط5_1976م_ص41

ولكن المحدثين ومنهم صلاح يمجدون الأبطال والزعماء ليس للمفاخرة بهم بل لأجل تخليد ذكراهم، ونشر مآثرهم حتى يقتدي بهم ناشئة الأمة في النضال والاستبسال، ور بما نجده يمجد الجميع إن خرجوا في مظاهرة مضادة للقهر أو إن أراد أن يبرز حبه لبني وطنه قاطبة، ففي قصيدته (المجد للشعب) يبدو فيها التمجيد حباً ومودة أكثر منه سياسة ونضالاً فهو تمجيد للفئات والقطاعات على نطاق جغرافي ذكر في بعضه الاتجاهات وسمى البعض الآخر، ويبدو أن النص كان مرتجلا عفوياً أكثر من كونه مصنوعاً

أما خاصية التنديد بالاستعمار ظهرت في الشعر أبان سنوات الاستعمار الذي أجتاح إفريقيا والعالم العربي فقد "خضعت الشعوب الإفريقية للاستعمار الأجنبي إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى"[1]، وهي من الخواص المهمة للشعر السياسي في العصر الحديث، وقد كان لصلاح دور في فضح جرائم الاستعمار من خلال أشعاره حتى يفضح المستعمر، ويفضح ما أرتكبه من جرائمه خلال سنوات احتلاله للسودان، وفي قصيدته التي بعنوان(فكر معي ملوال) نجد الشاعر يخبر عن كنه الاستعمار و علاقته بالمسيحية وأهدافه الحقيقية التي لاعلاقة لها بالدين، بل هي سعي لسرقة كنوز البلاد الظاهرة (ما على الأرض) وكنوزها الباطنة (تحت الأرض) ويبين أن الاستعمار أعلامه المرفرفة ما هي في الحقيقة إلا خناجر للإبادة والتفرقة.

5. مساواة ألفاظه معانيه:

" يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لايزيد عليه ولا ينقص وهذه هي البلاغة"[2]وهنا يكون الحديث عن تناسب الشكل والمضمون، كذلك فيه إشارة مهمة لدى البلاغيين لباب الإيجاز والإطناب إذ على الأديب أن يوجز لفظه إن كان معناه وجيزاً ، وأن يطنب في قوله ويولد الألفاظ إن كان المعنى الذي يعبر عنه واسعاً ، صلاح أحمد إبراهيم يختار من الألفاظ ما تتناسب

---

[1] التوم_ حسن صالح(دكتور)_ الاتجاه الإفريقي في الشعر السوداني المعاصر_سولو للطباعة والنشر_الخرطوم_ط1_2002م_ص81

[2]قدامة بن جعفر – نقد الشعر – ص55

ومعانيه وصوره التي يريد أن يرسمها لنا، وهو أميل للإيجاز وأبعد عن الإطناب المخل بالمعنى، وهو برغم إيجازه يتمكن من أن ينقل الفكرة كاملة وواضحة إلى متلقيه، والشعر الجيد "هو أن يذكر الشاعر المعنى فلايدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكتمل معها جودته شيئاً إلا أتى به"[1] لذا نجده يبتعد عن هذه المسالك التي لا تجدي، ففي قصيدته (شنق أمبادوا) يصور لنا الشاعر مشهد شنق أمبادوا بكلمات جميلة في صورة بلاغية جميلة، مستخدما فيها البساطة مع جودة الألفاظ، دون الإسراف فيها.

ثانيا: خصائص شعر الغزل

1. رصانة اللفظ وجودة النغم:

وفيها يكمن سر تألق شعر صلاح أحمد إبراهيم، وذلك لدقته في اختيار الألفاظ المتميزة برقتها في الشكل إضافة لشحنتها المعنوية التي يريد الشاعر إرسالها لمتلقيه، وهو ينظم شعره في تعابير منمقة ذات تراكيب دقيقة تنبئ عن تمكن صاحبها من اللغة بحيث يطوعها لتخدم أغراضه، فجودة الشعر تكمن في اللفظ الجميل البعيد عن الوحشية التي تجعل الناس ينفرون منه لما فيه من وحشي الكلام، الذي يبعث على الكراهة "وللأشعار الحسنة على اختلافها مواقع لطيفة ...كمواقع الطعوم المركبة ، وكالإيقاع المطرب المختلف التأليف"[2]

وعندما تتكامل للشعر مكونات الجمال من حيث الاجادة في اختيار المفردات ذات الأثر الطيب في النفس ثم التأليف في ما بينها تجد نفسك أمام موسيقى حالمة تجعلك تتمايل طرباً من أثر الإيقاع الجميل لهذه الكلمات، "و عنصر الموسيقى في الشعر له أهمية كبرى، لما فيه من إيحاءات تكون في التعبير بحيث لايمكننا أن نفصل موسيقى كلمات القصيدة عن

---

[1] قدامة بن جعفر – نقد الشعر - ص17

[2] اب طباطبا_محمد أحمد _ عيار الشعر_راجعه:نعيم زرزور_دار الكتب العلمية_بيروت، لبنان_ط2_ص21

دلالاته".[1] وليس لكل لفظ نغم جميل منفرداً بذاته إلا إذا إئتلف مع غيره من ألفاظ، فخاصية النغم الجيد تتطلب من الشاعر الإلمام بأساليب اللغة وبلاغتها لما فيه من بيان وبديع، فكل هذه المكونات تمتزج وتتآلف لتخرج لنا النغم الجميل، ونجد هذا ماثلاً في شعر صلاح أحمد إبراهيم.

2. الوحدة الموضوعية :

وهي " وحدة الموضوع، وحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع"[2]، تتبدى هذه الخاصية من واقع العصر الذي يعيش فيه الشاعر، فالشعر في هذا العصر إنفك من قيود تعدد الأغراض في القصيدة، خلاف ما كان عليه الحال في العصور السابقة، والشاعر في العصر الحديث يتناول موضوعا واحداً يتعهده بالحديث المفصل دون أن يعر ّ ِج على موضوع يصرفه عن الذي أبتدر به قصيدته، ولما كان صلاح أحمد إبراهيم من شعراء التفعيلة_ الشعر الحر_ أهتم بوحدة الموضوع في شعره، وقصيدة الغزل عند صلاح نجدها بناءاً متكاملاً في أوله ووسطه وآخره، قصيدته (مرية) مثلاً يصف فيها تلك الفتاة التي أسرت لبه وامتلكت قلبه وهو ما جعل القصيدة بناءا واحداً متماسكاً، نجد أن القصيدة منسجمة في جميعها إذ أن الشاعر لم يميل إلى شيء آخر غير الذي بدأ به قصيدته.

3. ظهور النزعة الرومانسية:

الرومانسية الأورومانتيكية"، هي أحدى المذاهب الأدب ّية التي تهتمُّ بالإنساني ّة وما تمتلئ بهن خيالاتٍ ومشاعر وعواطفهما كانت طبيعة الش ّخصِ المؤمنِ بها، سواء كان مؤمناً أو ملحداً، مع الانتباه لضرورةِ وضعِ مساحةٍ بين الأدبِ والأخلاقِ "[3]، و هي " تعد ثورة ضد

---

[1] هدارة – إتجاهات الشعر العربي المعاصر في السودان – ص592

[2] هلال_ محمد غنيمي(دكتور)_ النقد الأدبي الحديث_نهضة مصر للطباعة والنشر_القاهرة، مصر_د.ط_1997م_ص373

[3] موقع المعرفة للجميع- مقال بعنوان: الرومانسية بتاريخ: 2010/10/04م

الكلاسيكية المتشددة في قواعدها العقلية والأدبية"[1]، ولما كانت الرومانسية هي الثورة على القديم والدعوة إلى التجديد نجد صلاح أحمد إبراهيم من شعراء الحداثة الذين ينحازون إلى هذا المذهب، والمتأمل في شعر الغزل عنده تشيع فيه النزعة الرومانسية، وفيها يأخذك الشاعر بعاطفته الجياشة، التي تمتلك جوانحك وتأخذك بخيالك هائما مع الشاعر في عالم آخر يفيض رقة وحنان، وشعر الغزل عند صلاح تشيع فيه هذه الخاصية، فأنت عندما تقرأ تلك القصائد تجدها مطبوعة بالعاطفة الجياشة التي يمتزج فيها الأمل والحزن، والشاعر الحاذق هو الذي يستطيع أن يأخذك إلى عالمه.

4. الصدق:

نعني بالصدق هنا الدقة والواقعية والأمانة في نقل الشعور والإحساس من الشاعر إلي متلقيه، وصدق العاطفة ذا الحضور المتميز في شعر صلاح إذ أنه يودع أحاسيسه وانفعالاته فتمنحه المصداقية، وشعره ليس انفعالات ولحظات عابرة استدعى لها الكلمات، إنما هو تجارب عايشها الشاعر فترجمها شعرا عكس من خلالها مشاعره بعمق وصدق وجاذبية يدفع المتلقي لتقمص الحالة العاطفية والنفسية للشاعر، متفاعلاً مع الموقف لمصداقية الشاعر ودقة تعبيره عنه، فشعره صادق ناتج عن مواقف استفزته فجعلته يجيد، ويتضح هذا في شعره "والشاعر الحق هو الذي تتضح في نفسه". [2] صدق مشاعره.

فالشعر النابع من عاطفة صادقة يمكن أن يتحسسه المتلقي وينفعل به، وصلاح أحمد إبراهيم صادق في مشاعره، ممايجعل من شعره أداة فعالة تنقل مشاعره وتجربته إلى غيره،

---

[1] موقع صيد الفوائد الإلكتروني_ مقال بعنوان: الرومانسية أعد بواسطة الدوة الإسلامية للشباب.

[2] هلال- محمد غنيمي-النقد الأدبي الحديث-نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة ،مصر-ط3 -1997م-ص363

"فالتجربة الشعرية يستغرق فيها الشاعر لينقلها إلينا في أدق مايحيط بها من أحداث "[1]، وصدق العاطفة ما يجعل الانفعال حقيقياً .

5. التلقائية والتشويق:

وهنا يكمن تألق أي شاعر، وصلاح شاعر مطبوع لايتكلف الكلام ليعبر عن مواقفه وشعره، فالشعر الجيد نابع عن تلقائية لا مشقة في استحضار ألفاظه ومعانيه، فالشاعر الحاذق هو الذي يتمكن من تطويع الكلمات لتخدم أغراضه، و روعة الشعر في سهولة انسيابه "وإن تكلفته ولم تكن حاذقا مطبوعاً ولامحكما لشأك بصير عابك من هو أقل منك عيباً "[2] فإذا تمعنا في شعر صلاح أحمد إبراهيم نجده يقول الشعر من أجل الشعر، وكما أسلفنا فإن جودة الشعر تكمن في اللفظ الجيد المعبر ذو الأثر الفعال في نفس المتلقي.

أما التشويق فهو أن تذخر لغة النص بالألوان العديدة والمشرقة بما يثير في النفس المتعة والإثارة "وهو ما شحن بغرر الألفاظ، وتعلق بأهداب المجاز ولطائف التخيلات... فيفتن ببراعته العقول ويسحر الألباب"[3]، وشعر صلاح أحمد إبراهيم على جانب من الإمتاع والتشويق يجعل المتلقي ينجذب إليه، ويتفاعل معه ويتأمله، ويفتنك بأسلوبه الجزل، فأنت ما أن تفرغ من معنى جميل وحسن تطلعت إلى المعنى الذي يليه، فتظل مفتونا مأسورا بالوان شعره وكلماته ذات الوقع الممتع، وهو من الشعراء الذين ينتقون لشعرهم الألفاظ والتعابير الجاذبة، البسيطة الفصيحة الواضحة مما يجعل شعره جيداً ، كما أن الاستخدام الأمثل لأشكال البيان والبديع من البلاغة في نظم الشعر وتجسيد معانيه، يزيده رونقاً وحضوراً مميزاً عند المتلقي.

---

[1] محمد غنيمي هلال –النقد الأدبي الحديث –ص363

[2] السيد أحمد الهاشمي – جواهر الأدب- ص27

[3] نفسه _ ص25

مما سبق يمكننا القول أن صلاح أحمد إبراهيم مزج بين المذهبين الواقعي والرومانسي، في حالة من التجديد الفوضوي الذي انتاب الشعر.